

المك عبد العزيز ووقف الكتب

إعداد

د . فهد بن عبد الله السماري

ملخص البحث :

عرف عن الأسرة السعودية منذ عهد مؤسس الدولة السعودية الأولى الإمام محمد بن سعود اهتمامهم بالعلم الشرعي ، حيث حرصت الأسرة على اقتناء الكتب وحفظها والعناية بها ، بل وتخطى هذا إلى محاولة نشرها وتيسير الاطلاع عليها لطلاب العلم ؛ وتقدم لنا هذه الدراسة نماذج لنصوص الوقف التي وجدت على الكتب المخطوطة للدلالة على إسهام أئمة الأسرة وأمراءها وأميراتها في وقف الكتب، رغبة في نشر العلم وأملاً في الثواب واحتساب الأجر ، وشعوراً منهم بضرورة إتاحة العمل الموقوف ليكون بين أيدي قطاع عريض من المحتاجين إليه للاستفادة منه في دروسهم وتحصيلهم .

ولقد كان للملك عبدالعزيز . رحمه الله . عنايته الخاصة بالكتب واهتمامه المميز بطباعتها ونشرها على نفقته الخاصة ، كما عرف عنه تشجيعه الملحوظ لأبنائه وللعلماء والمفكرين والمقتدرين بوقف الكتب ونشرها. الأمر الذي أسهم في العناية بالكتب ودعم حركة النشر والمعرفة ، ويسجل التاريخ أن عناية الملك عبدالعزيز بالكتب قد شملت شراءها وتوزيعها ووقفها على طلبة العلم مما كان له أثره في إحياء التراث الإسلامي وطباعة العديد من المخطوطات والكتب التي لم تتوافر بأيدي العلماء والدارسين آنذاك .

وتأتي الكتب الوقفية في عهد الملك عبدالعزيز دليلاً على عنايته (رحمه الله) بنشر العلم وذلك بوصفها وفقاً إسلامياً تجب المحافظة عليه وصيانتها ودليلاً على اهتمامه بنشر الكتب . وبخاصة الكتب الدينية . وحرصه على وصولها لأيدي الباحثين دون من أو ثمن كجزء من سعيه المتواصل لنشر العلم والمعرفة .

وتتميز أغلب الكتب التي وقفها الملك عبدالعزيز بأنها من الفقه الحنبلي ، كما تتميز بندرة نسخها ، لذا فإن وقفها يعد خدمة جلية لطلاب العلم في زمانه ، حيث كان الحصول على نسخة منها يكلف الشيء الكثير ، ويحرم طلبه العلم من الاستفادة منها لندرته ، وقد جاء وقفه لها ليسد تلك الثلمة .

وصيغة الوقف على الكتب التي وقفها الملك عبدالعزيز تكاد تكون ثابتة لا تتغير إلا فيما ندر ، والصيغة الثابتة هي :

(يعلم من يراه بأن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل وقف هذا الكتاب لوجه الله تعالى على طلبه العلم لا يباع ولا يورث ولا يحبس فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم) .

وهي صيغة لا تخرج كثيراً عن الصيغ المتعارف عليها في وقف الكتب عامه والكتب التي وقفها رجال الأسرة السعودية بصفة خاصة ، ولا يخفى ما لهذه العناية بالوقف ونشر الكتب من قيمة علمية كان لها الأثر الكبير في تشكيل بنية المجتمع وتحديد ملامحه واتجاهاته الفكرية والثقافية والدينية .

ومن منطلق الأهمية التاريخية والاجتماعية لظاهرة وقف الكتب وأثرها في دفع عجلة المعرفة وفي خدمة العلم وحفظ التراث وللدلالة على حرص الملك عبدالعزيز . رحمه الله . وعنايته بالكتب وتوفيرها بأيدي طلبه العلم ، تأتي أهمية هذه الدراسة التي تمثل محاولة لدراسة موضوع لم يلق العناية اللازمة من الباحثين ولا توجد دراسات متعمقة فيما عدا معلومات متناثرة هنا وهناك ، ويؤمل أن تسهم هذه الدراسة في زيادة المعرفة حول هذا الجانب المهم من تاريخ الملك عبدالعزيز ، وتعد هذه الورقة دراسة وصفية تهديق إلى وصف ظاهرة وقف الكتب وعناية الملك عبدالعزيز بهذا الوقف ورصد العبارات التي سجلت على الكتب الوقفية وأثر هذا الاتجاه على المجتمع وعلى

بقاء هذه الكتب محفوظة حتى وقتنا الحاضر ، وارتباط هذا التوجه لدى الملك عبدالعزيز بالشريعة الإسلامية التي حمت الوقف وجعلت له قدسية خاصة به . وقد تناولت في هذه الدراسة إضافة إلى إيضاح الهدف والمنهج ونطاق الدراسة ومعنى الوقف وتعريفه لغة واصطلاحاً أربعة فصول جاءت كالتالي :

الفصل الأول : تناولت فيه عناية الأسرة السعودية منذ عهد الإمام محمد بن سعود . رحمه الله . بوقف الكتب وأوردت نماذج متنوعة منها والنصوص الوقفية المسجلة عليها ، مما يدل على عنايتهم بالعلم الشرعي رغبة في نشر العلم وأملاً في الثواب واحتساب الأجر .

الفصل الثاني : تناولت فيه عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب ووقفها على طلبة العلم ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى واقتداءً بأبنائه به في هذا المجال ، وكذلك أثر اهتمامه . رحمه الله . وعنايته بالمكتبات الوقفية مما ساعد على انتشارها، وأوردت أمثلة لهذه المكتبات .

الفصل الثالث : تناولت فيه عناية الملك عبدالعزيز بطباعة الكتب ووقفها وأوردت نماذج لعدد من أغلفة الكتب التي طبعها الملك عبدالعزيز على نفقته بوصفه عملاً خيرياً . خاصة تلك التي دون على بعض منها عبارة "وقف لله تعالى" إضافة إلى الإشارة أحياناً إلى أنه طبع على نفقة الملك عبدالعزيز .

ويتضح لنا من خلال استعراض بعض الأغلفة التي كتب عليها النصوص الوقفية وإيراد عدد من العناوين التي طبعت على نفقته ما يلي :

١- تركيز هذه المؤلفات على كتب أعلام السلف مثل ابن حنبل وابن قدامة وابن تيمية وابن القيم وغيرهم .

٢- تنوع موضوعاتها ، حيث تشمل العقيدة والتفسير والفقه واللغة العربية وآدابها والتاريخ الإسلامي والجغرافيا وغيرها .

٣- نشر كتب الشيخ محمّد بن عبدالوهاب وتلامذته بهدف نشر حقيقة دعوة الشيخ والرد على أصحاب الأقاويل المعادية لها .

٤- تعدد المطابع التي طبعت فيها تلك المؤلفات .

الفصل الرابع : تناولت فيه عناية الملك عبدالعزيز . رحمه الله . بشراء المخطوطات ووقفها وأوردت نماذج منها والنصوص الوقفية التي سجلت عليها . ومنها :

- كتاب معونة أولى النهى بشرح المنتهى لمنصور البهوتي .

- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي .

- كتاب بهجة المناظر من صيد خاطر لابن سلوم .

- المقنع في الفقه لابن قدامه المقدسي .

- العمدة في الفقه لابن قدامة .

ثم اوضحت النتائج التي توصلت لها من خلال دراستي لعناية الملك عبدالعزيز

بالكتب الوقفية ومنها :

١- أسهم الوقف في إثراء الحركة العلمية في الملكة العربية السعودية بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة .

٢- ساعد على نشر حركة إحياء التراث الإسلامي والعقيدة السلفية ، وتصحيح ما شاب الدين الإسلامي من بدع وخرافات .

٣- أسهم في إحياء وقف الكتب الذي كان مهملاً قبل قيام الدولة السعودية الأولى .

٤- غزارة الإنتاج العلمي الذي نشره أو ساعد على نشره وأوقفه لوجه الله تعالى الملك عبدالعزيز . طيب الله ثراه . .

٥- تنوع الكتب والمخطوطات الموقوفة واختلاف موضوعاتها وإن كان للجانب الديني نصيب وافر منها .

٦- إعطاء القدوة في هذا المجال مما حدا بالأمرء وبعض العلماء والأثرياء إلى الإسهام في هذا المجال .

ثم طرحت عدداً من التوصيات التي أرى أهميتها في سبيل المحافظة على الكتب والمخطوطات الموقوفة وتشجيع العلماء والمهتمين بأهمية هذا النوع من الوقف بوصفه عملاً من أعمال البر ما زالت الحاجة إليه قائمة ولم ينته بوجود المطابع ونشر الكتب .

كما ألحقت ثبناً بأسماء المصادر التي رجعت إليها والله أسأل التوفيق والسداد إنه سميع مجيب ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فقد عني الإسلام عناية فائقة بالوقف ، وكان للوقف دوره في حماية الملكية من العبث والتجزئة كما حظيت النواحي الثقافية باهتمام الواقفين من الخلفاء والأمراء والقادة والعلماء والأثرياء فظهرت المكتبات الوقفية التي تعدّ ظاهرة إسلامية فريدة.

وفي ظل التطورات والتغيرات التي طرأت على المجتمع الإسلامي في العصر الحديث فقد ضعف الاهتمام بوقف الكتب وعده جزءاً من تراثنا وتاريخنا .

كما تعرضت المكتبات الوقفية للإهمال مما آل بكثير منها للاندثار والتلف .

وتأتي " ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية " التي تقيمها مشكورة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة لتسهم في زيادة الوعي بأهمية العناية بالمكتبات الوقفية ، ولاستجلاء الصورة المشرقة التي كانت عليها هذه المكتبات في الماضي وهي محاولة لإنقاذ ما بقي منها وإتاحتها للباحثين والدارسين حسب شروط الواقفين .

كما تأتي هذه الندوة لتشجيع الباحثين والدارسين على البحث في جوانب عديدة لظاهرة الوقف الإسلامي للكتب مستهدفة التعريف بالمكتبات وأهميتها عند المسلمين ، التعريف بالوقف وأهميته عند المسلمين ، إبراز دور الوقف في نشأة المكتبات وتطورها عند المسلمين ، التعرف على وقف الكتب والمكتبات في المملكة، التعريف بطرق ووسائل دعم المكتبات الوقفية .

وتأتي هذه الدراسة لتوضح جانباً مهماً من اهتمامات الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بالكتب ووقفها ومساهمته في نشر الكتاب عن طريق طباعته ووقفه.

والله موفق وهو الهادي إلى سواء السبيل ،،،

التمهيد :

للملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- عناية خاصة باقتناء الكتب ووقفها، ولجلالته اهتمام مميز بطباعتها ونشرها على نفقته الخاصة باعتباره وجهًا من أوجه العمل الخيري الذي عني به جلالته، ويمثل ذلك تشجيعًا ملحوظًا للعلماء والمفكرين. الأمر الذي أسهم في تشجيع أبنائه من بعده والموسرين للعناية بطبع الكتب ووقفها ، مما نتج عنه دعم حركة النشر والمعرفة في البلاد؛ فقد شملت عناية الملك عبد العزيز بالكتب شرائها وتوزيعها ووقفها على طلبة العلم مما كان له الأثر الأكبر في إحياء التراث الإسلامي وطباعة العديد من المخطوطات والكتب التي لم تتوافر بأيدي العلماء والدارسين آنذاك.

ولا يخفى ما لحركة الطباعة والنشر عند الملك عبدالعزيز من أهمية تاريخية واجتماعية لتنشيط حركة الوقف، إضافة إلى ما قامت به من دور فاعل في تطوير المجتمع وثقافته دينيًا وفكريًا. لذا؛ فإن هذه الدراسة تأتي لتسلط الضوء ولتتواءم وتتكامل ولتكشف النقاب عن نشأة ظاهرة وقف الكتب وتطورها وأثرها في خدمة المجتمع السعودي والتأثير عليه؛ وتأتي الكتب الوقفية عند الملك عبدالعزيز دليلاً على عنايته -طيب الله ثراه- بالكتب والمكتبات، وذلك بوصفها وقفًا إسلاميًا تجب المحافظة عليه وصيانته، [حيث يتم تسجيل عبارة الوقف الشرعية التالية:

"يعلم من يراه بأن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل وقف هذا الكتاب لوجه الله الكريم على طلبة العلم لا يباع ولا يورث ولا يحبس فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم وصلى الله على محمد".

ومن خلال هذه العبارة ومعانيها السامية يتضح اهتمام الملك عبدالعزيز بالكتب وبخاصة الكتب الدينية- وحرصه على وصولها لأيدي طالبي العلم دون منٍ أو

ثمن]. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية هذه الدراسة التي تمثل محاولة جادة لدراسة موضوع لم يلق العناية اللازمة من الباحثين، ولا توجد حوله دراسات متعمقة فيما عدا معلومات متناثرة، ويؤمل أن تسهم هذه الدراسة في زيادة المعرفة حول هذا الجانب المهم من تاريخ الملك عبدالعزيز؛ طيب الله ثراه.

هدف الدراسة :

تسعى الدراسة إلى التعرف على الكتب التي أوقفها الملك عبدالعزيز، وتقصي جهوده في وقف الكتب عن طريق الطباعة على نفقته الخاصة أو الشراء المباشر، وبشكل أكثر تحديداً؛ فإن الدراسة ترمي إلى تحقيق ما يلي:

- ١ - إبراز الخلفية التاريخية لظاهرة وقف الكتب في المملكة العربية السعودية.
- ٢ - تقديم أمثلة للكتب التي أوقفها الملك عبدالعزيز وتحديد مظانها.
- ٣ - دراسة أهمية هذه الكتب في خدمة العلم وحفظ التراث.

منهج الدراسة :

تعد هذه الورقة دراسة وصفية تهدف إلى وصف ظاهرة وقف الكتب وعناية الملك عبدالعزيز بهذا الوقف، والعبارات التي سجلت على الكتب الوقفية، وأثر هذا الاتجاه على المجتمع وعلى بقاء هذه الكتب محفوظة حتى وقتنا الحاضر وارتباط هذا التوجه لدى الملك عبدالعزيز بالشرعية الإسلامية التي شجعت الوقف.

نطاق الدراسة :

يغطي نطاق هذه الدراسة وقف الكتب في الأسرة السعودية منذ الدولة السعودية الأولى ومروراً بالدولة السعودية الثانية، ثم يأتي النصيب الأوفى من خلال الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية) حيث يتوقف النطاق عند الملك عبدالعزيز الذي أولى وقف الكتب جلَّ عنايته.

الوقف في اللغة والاصطلاح:

قبل التعرض لظاهرة الوقف تاريخياً يحسن بنا التعرف على معنى الوقف في اللغة والاصطلاح :

الوقف لغة؛ جاء في لسان العرب مادة (وقف) ما يلي :

"وقف : الوُقُوف : خلاف الجُلوس، وَقَفَ بالمكان وَقْفًا وُقُوفًا، فهو واقف، والجمع وُقُوف وُوقُوف، ويقال : وَقَفَتِ الدابةُ تَقْفُ وُقُوفًا، ووقفتها أنا وَقْفًا. ووقَّفَ الدابة : جعلها تَقْفُ".

وقد اتفقت معاجم اللغة على قولهم : وقفت كذا بدون ألف، وإن قلت أوقفت فهي شاذة في اللغة.

وفي الاصطلاح :

"الوقف هو حبس العين وتسبيل ثمرتها. فقوام الوقف حبس العين فلا يتصرف فيها بالبيع والرهن والهبة ولا تنتقل بالميراث ، وصرف المنفعة لجهات الوقف على مقتضى شروط الواقف"^(١)

وينقسم الوقف إلى نوعين هما :

١ - وقف العقار أو الثابت.

٢ - وقف المنقول.

(١) محمد أبو زهرة/ محاضرات في الوقف. ط٢. - القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٧١م، ص ٤١. إبراهيم بن موسى بن أبي بكر البرهان الطرابلسي/الإسعاف في أحكام الأوقاف. - القاهرة (بدون)، ١٢٩٢هـ، ص ٤.

ووقف الكتب من النوع الثاني. ولقد عُرفَ هذا المصطلح في المشرق واشتهر بالوقف. أما في المغرب فقد غلب عليه مصطلح التحبيس.

وكما جاء في تعريف الوقف اصطلاحًا؛ فإنه "صرف المنفعة لجهات الوقف"؛ والتصديق بالمنفعة لا خلاف فيه، ولكن الخلاف بين الفقهاء في إزالة ملك الرقبة، فالوقف جائز عند أبي حنيفة ولكنه غير لازم ولا دائم.^(١)

وفي المبسوط: "إن أصل الجواز ثابت عنده لأنه يجعل الواقف حابسًا للعين على ملكه صارفًا للمنفعة إلى الجهة التي سماها، فيكون بمنزلة العارية والعارية جائزة غير لازمة"^(٢)، فيكون الوقف عنده "حبس العين على ملك الواقف والتبرع بريعها لجهة من جهات الخير في الحال أو في المآل". إلا أن الوقف عند محمد وأبي يوسف هو زوال ملك العين عن الواقف إلى الله تعالى على وجه تعود منفعتها إلى العبادة، فيلزم ولا يباع ولا يورث.^(٣) ويقول الخصاص: "الوقف هو الذي يكون دائمًا أبدًا لا يملكه أحد ولا ير جع إلى ملك صاحبه ولا إلى ورثته".^(٤) وجاء في المغني "إن الوقف إذا

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم/المطى- القاهرة: دار الفكر (د.ت)، ١٧٥/٩؛ محمد أمين بن عمر ابن عابدين/رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار.- بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت) ٢٣٨/٤-٢٣٩.

(٢) أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي/المبسوط؛ تصحيح محمد راضي الحنفي (٣٠ جزءًا).- مصر: مطبعة السعادة ١٣٣١هـ، أعادت طبعه بالأوفست.- ط٣.- بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م، ٢٧/١٢.

(٣) ابن حزم، المصدر نفسه ١٧٨/٩؛ السرخسي، المصدر نفسه ٢٨/١٢؛ أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي/المغني والشرح الكبير (١٤ جزءًا).- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٢م، ١٨٦/٦.

(٤) أبو بكر أحمد بن عمر الخصاص/أحكام الأوقاف.- القاهرة: مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية، ١٩٠٤م، ص ٨٩.

صح زال به ملك الواقف" في الصحيح من المذهب وهو المشهور من مذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة.^(١)

وعند المالكية أن الوقف لا يخرج العين الموقوفة من ملكية واقفها بل تبقى على ملكه، إلا أنه لا يحق له بيعها ولا هبتها ولا تورث عنه. أما عند الإمامية؛ فإن الوقف إذا تم زال ملك الواقف عنه عند الأكثر.^(٢) وإضافة إلى الرأيين السابقين هناك رأي ثالث يفيد أن ملكية العين الموقوفة تنتقل إلى ملك الموقوف عليهم، لكنه ملك ناقص، فليس للموقوف عليه أن يبيع الموقوف أو يهبه ولا يورث عنه. وبه قال الحنابلة في المشهور من مذهبهم وهو رأي للإمامية.^(٣)

ويؤيد ظاهر الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين، ويدل على أن الوقف كان مؤبداً، وفي بعض النصوص ما يدل على التأييد. ولكن الفقهاء اختلفوا في الاجتهاد، فأكثرهم يرى تأييد الوقف، ويعدّ التأييد داخلاً في مقتضاه^(٤)، ومنهم من أجاز تأييد الوقف. ويشترط الشافعي التأييد المطلق من غير تقيد بزمن، وابن حنبل يشترط التأييد المطلق، واشترط محمد بن الحسن التأييد وكذلك عامة الحنفية. أما أبو

(١) ابن قدامة المقدسي، المصدر نفسه، ١٨٧/٥-١٨٨.

(٢) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي/ النهاية في مجرد الفقه والفتاوى؛ تحقيق أغابزرك الطهراني. - ط ٢. - بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠م، ص ٥٩٥.

(٣) تراجع: منصور بن يوسف البهوتي/ كشف القناع عن متن الإقناع. - مكة المكرمة (د.ن)، ١٩٧٤م، ٢٨٢/٤. المحقق الحلبي/ شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام؛ تحقيق عبدالحسين محمد علي. - النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩م، ١/١٤٩.

(٤) أحمد إبراهيم بك/ كتاب الوقف. - مصر: مكتبة عبدالله وهبة، ١٩٤٣-١٩٤٤م، ص ٦٦-٦٧. ابن قدامة المقدسي، المغني والشرح الكبير، ١٩٥/٦.

يوسف فلا يشترط التأييد، وصح الوقف عنده على جهة يتوهم انقطاعها^(١). ويشترط الإمامية التأييد، ويرى بعضهم أن الوقف إذا كان مؤقتاً؛ فإنه يبطل ويصبح حبساً^(٢). وعند مالك يجوز توقيت الوقف، وبانتهاء المدة ترجع أعيان الوقف إلى الواقف إن كان حياً أو إلى ورثته إن كان ميتاً^(٣).

واتجه عدد من العلماء في الفترة الحديثة إلى أن الوقف يجوز أن يكون مؤقتاً كما يجوز مؤبداً^(٤). والوقف في أصله صدقة جارية، لذا فإن دوره كان كبيراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الإسلامي. لذا؛ فقد تعددت مجالاته، وكان في طليعتها رعاية الفقراء والمساكين وابن السبيل والأيتام والأرامل والمنقطعين، وأرباب العاهات وإرضاع الأطفال الأيتام ورعاية النساء اللواتي طُلِقْنَ أو هُجِرْنَ، وتوفير مياه الشرب وإنشاء الخانات للمسافرين وبناء القناطر والحمامات العمومية، ودور الوضوء وإنشاء الزوايا والرباطات في بعض الجهات لإيواء المسافرين وعابري السبيل وذوي الحاجات وخصوصاً في النواحي المقفرة البعيدة^(٥). وكان للأوقاف دورها في دفع

(١) أبو إسحق إبراهيم بن علي الشيرازي/ المهذب في فقه الإمام الشافعي.- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، ٣٢٤/٢. السرخسي/المبسوط، ٤٧/١٢.

(٢) الطوسي/ النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، ص ٥٩٦. أبو القاسم الموسوي الخوئي/منهاج الصالحين. فتاوى أبو القاسم الموسوي الخوئي (جزء ٢)، ط ١٥٠.- بيروت: دار الزهراء، ١٩٨١م، ٢٢٦/٢.

(٣) انظر : إبراهيم بك/ الوقف، ص ٣٥-٣٦.

(٤) انظر : أبو زهرة/ محاضرات في الوقف، ص ٧٢-٧٣. إبراهيم بك/ الوقف، ص ٣٤.

(٥) محمد محمد أمين/ الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م).- القاهرة : دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، الوثيقة رقم ٣ والوثيقة رقم ٤، ص ١٣٤.

الجهاد والأخذ بيد المجاهدين في الثغور والجهات المواجهة للأعداء براً وبحراً؛ ولالأوقاف أيضاً دورها الكبير في الحياة الثقافية، حيث كانت مؤسسات التعليم قبل المدرسة أهلية، في المسجد والكتاتيب ودور العلم والمكتبات والربط والزوايا، ويعتمد الكثير منها على الهبات وخصص لبعضها الأوقاف. وهناك أيضاً الرعاية الطبية التي تمثلت في إقامة المارستانات، حيث يعالج المرضى ويتناولون الأدوية والأغذية مجاناً. وكانت الأوقاف تتجاوز كل هذا لتشمل تزويج الأيتام واليتيمات، وتعنى بالحيوانات المريضة، وتقوم بتخصيص مرتبات شهرية للشيوخ والضعفاء، كما استحدثت أوقاف لإنارة السبل أمام المارة ليلاً. وهكذا نجد أن الأوقاف غطت كافة النواحي التي لا تنفق عليها الدولة، وبعضها يتم ما أنفقت الدولة عليه^(١).

وختاماً؛ فلقد كان للوقف دوره الكبير في المجتمعات الإسلامية وبخاصة في النواحي الثقافية والصحية والاجتماعية، في وقت كان فيه دور الدولة محدوداً نسبياً.

(١) أحمد بن يحيى بن محمد الوثنريسي / المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب؛ خرجة جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي (١٣ جزءاً) - بيروت : دار المغرب الإسلامي، ١٩٨١-١٩٨٣م، ١٣/٧.

الفصل الأول وقف الكتب لدى الأسرة السعودية

عُرِفَ عن الأسرة السعودية منذ عهد مؤسس الدولة السعودية الأولى الإمام محمد بن سعود اهتمامهم بالعلم الشرعي، حيث حرصت الأسرة على اقتناء الكتب وحفظها والعناية بها، بل وتخطى هذا إلى محاولة نشرها وتيسير سبل الاطلاع عليها ولطلاب العلم؛ وتقدم لنا نصوص الوقف التي نُطالِعها على الكتب المخطوطة معلومات مهمة عن إسهام أئمة الأسرة وأمرائها وأميراتها مما يدل على هذا الاهتمام، رغبة في نشر العلم وأملاً في الثواب واحتساب الأجر، وشعوراً منهم بضرورة إتاحة العمل الموقوف بين أيدي قطاع عريض من المحتاجين إليه؛ الذين لم تكن ظروفهم الاقتصادية تمكنهم من الحصول عليه للاستفادة منه في دروسهم وتحصيلهم.

وأول ما يعتقده الباحث هو ندرة نماذج الوقف في منطقة نجد، غير أنه لا يلبث أن يقابل بزخم منها مدونة على بعض المخطوطات المحفوظة في المكتبات الخاصة والعامة، والنماذج على ذلك متعددة تؤكد الحرص على وقف الكتب وإتاحتها تشجيعاً على العلم وتوفيراً لطلبته غير أن تميز الأسرة الحاكمة السعودية يتضح جلياً من عدد الكتب التي تم وقفها، ومن أولى نماذج الوقف لدى الأسرة:

١ - وقفية الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٣٣-١٢١٨هـ) الذي عني بالعلم والتعليم، ولقدّم الفترة لم يصل إلى أيدينا إلا عدد محدود من الكتب التي أوقفها، منها نسخة من كتاب (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) لأحمد بن محمد الخطيب القسطلاني، ونص الوقفية:

"الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، أما بعد فقد وقف وسبل عبدالعزيز ابن سعود تقبل الله منه هذا المجلد من شرح البخاري وبقية

المجلدات، وهن سبعة مجلدات وجعل نصفهن سبالة للشيخ محمد الله يعفي عنه^(١) ونصفهن سبالة لأبيه وأمه عفى الله عنهم^(٢)، وشهد على هذا إبراهيم بن الشيخ محمد^(٣)، وعبدالله بن عبدالعزيز^(٤).
وكتبه وشهد به عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب^(٥)، وكفى بالله شهيدًا
وصلى الله على محمد وآل وسلم".
٢ - وقفية محمد بن فيصل آل سعود لكتاب (نظم ابن عبدالقوي) عام ١٢٨٧هـ
ونص الوقفية :

"بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم الناظراليه والواقف عليه بأن محمد بن فيصل وقف هذا الكتاب نظم بن عبدالقوي بعدما استقر في ملكه لوجه الله الكريم طلبًا لرضاه وثوابه على طلبة العلم وقفًا صحيحًا شرعيًا مؤبدًا لا يباع ولا يوهب ولا يرهن، والنظر لصاحبه مدة حياته وليس لمن استعاره أن يكتمه عن له النظر أو كي له من بعده فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم. شهد على ذلك عبد العزيز بن صالح بن مرشد وإبراهيم القويزاني وكتبه شاهدًا به عبدالعزيز بن صالح الصيرامي ١٨ ش سنة ١٢٨٧هـ".

- (١) هو أمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله-.
- (٢) المقصود والدا الإمام عبدالعزيز نفسه -رحمهم الله جميعًا-.
- (٣) هو إبراهيم بن محمد بن عبدالوهاب.
- (٤) انظر : المشجر الوارد في آخر كتاب. "مثير الوجد في أنساب ملوك نجد" لراشد بن علي؛ تحقيق عبدالواحد محمد راغب، الرياض : دار الملك عبدالعزيز، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- (٥) راجع ترجمته في البيان الواضح ص٣٦، حيث ذكر وفاته بمصر عام ١٢٤٢هـ.

٣ - وقفية تركي بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن لكتاب (نصر الباري بترجمة صحيح البخاري)؛ ونص الوقفية :
" أوقف هذا الكتاب الفقير إلى الله تركي بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن لوجه الله على طلبة العلم، ومن كان عنده فلا يحبسه ولا يمنع من أراد القراءة فيه ويتحفظ عليه عن الخلل. والله أعلم".

* وقفية الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٣٣-١٢١٨هـ) على كتاب (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) لأحمد بن محمد الخطيب القسطلاني .
* وقفية الأمير محمد بن فيصل آل سعود لكتاب (نظم بن عبدالقوي) عام ١٢٨٧هـ .

* غلاف كتاب (نصر الباري بترجمة صحيح البخاري) الذي أوقفه الأمير تركي (الأول) بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود .

* نص وقفية الأمير تركي (الأول) بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود على كتاب نصر الباري بترجمة صحيح البخاري لمؤلفه محمد إسماعيل البخاري وترجمة عبدالواحد بن عبدالعزيز وعبدالرحمن بن عبدالله الغزنوي إلى اللغة الأردية .

وتعدّ نورة بنت الإمام فيصل بن تركي آل سعود أكثر نساء أسرة آل سعود مشاركة في ميدان وقف الكتب؛ فمما وقفته نسخة من كتاب (طريق الهجرتين وباب السعادتين) لابن قيم الجوزية، وقد جاء نص الوقفية كما يلي :

"بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم الناظر إليه والواقف عليه أن هذا الكتاب أوقفته لرجاء الأجر والثواب نورة بنت الإمام فيصل بن تركي على طلبة العلم من المسلمين لا يمنع منه المنتفع أعظم الله لها الأجر في ذلك، وتقبله وصلى الله على محمد على آله وصحبه وسلم ١٩ جا سنة ١٢٧٦هـ".

كما وقفت نسخة من كتاب (الأدب المفرد) للإمام البخاري، ونص وقفيتها كالتالي :

"بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه أن نورة بنت الإمام فيصل بن تركي حفظها الله تعالى أوقفت هذا الكتاب المبارك لوجه الله تعالى أوقفته طلباً للثواب من رب الأرباب. وعملاً بحديث (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم سنة ١٢٧٨هـ".

وشاركت الجوهرة بنت تركي بن عبدالله في وقف كتب منها نسخة من كتاب (العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار) للذهبي، ونص وقفيتها هو :

"يعلم من يراه بأن الجوهرة بنت تركي بن عبدالله آل سعود وقفت هذا الكتاب طلبًا للثواب من رب الأرياب؛ لا يباع ولا يرهن (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه) إن الله سميع عليم وصلى الله على محمد ٢٩/١/ سنة ١٢٨١هـ".

* وقفية الأميرة نورة بنت الإمام فيصل بن تركي على كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية .

* وقفية الأميرة نورة بنت الإمام فيصل بن تركي على كتاب الأدب المفرد للبخاري .
* وقفية الأميرة الجوهرة بنت تركي بن عبدالله على كتاب العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار للذهبي .

ومن أبرز من عني بوقف الكتب وطباعتها من الأسرة السعودية الحاكمة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- حيث بلغ ما طبع على نفقته أكثر من مئة كتاب طبعت في الهند ومصر والشام وفي الحجاز، ووزعت على طلبة العلم داخل المملكة وخارجها مما سيرد بحثه في الفصل الثاني من هذه الدراسة، وقد اقتدى بالملك عبدالعزيز أبناؤه في تعضيد النشر ووقف الكتب على طلبة العلم ابتغاء وجه الله. فقد ورد اسم الأمير منصور عند ذكر مؤلفات عبدالله بن عبدالعزيز العنقري (حاشية الروض المربع) "طبع على نفقة الأمير منصور بن عبدالعزيز"؛ ومما طبع على نفقته :

١ - الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت. ٣٦٠هـ)؛ تحقيق محمد محمد حامد الفقي ، ط١، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م على نفقة الأمير منصور بن عبدالعزيز، ٥٠٤ص.

٢ - نظرية العقد: كتاب "العقود" لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام ابن تيمية (ت. ٧٢٨هـ) طبعه محمد حامد الفقي باسم (نظرية العقد) على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن عبدالعزيز آل سعود.

والذي طبعه الأمير سعود بن عبدالعزيز على نفقته غير قليل، منه :

١ - القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس؛ تحقيق محمد حامد الفقي، تفضل بالأمر بطبعه الأمير سعود بن عبدالعزيز.

٢ - المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ تأليف مجد الدين ابن تيمية ومعه (النكت والفوائد السنوية على مشكل المحرر لمجد الدين ابن تيمية)؛ تأليف شمس الدين ابن مفلح الحنبلي الدمشقي ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م. القاهرة. جزآن.

٣ - مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام؛ صححه محمد حامد الفقي "تفضل بالأمر بطبعه وتوزيعه مجاناً على نفقته محيي آثار السلف الصالحين

المهتدي بهدي سيد المرسلين أمير العلماء وعالم الأمراء صاحب السمو ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير الأجل سعود بن عبدالعزيز، ١٣٦٥هـ".
* كتاب (مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام) المطبوع على نفقة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير سعود بن عبدالعزيز .

* كتاب (القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس) المطبوع على نفقة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير سعود بن عبدالعزيز .

٤ - معارج الألباب في مناهج الحق والصواب؛ تأليف حسين بن مهدي النعمي (ت. ١١٨٧هـ)؛ تحقيق محمد حامد الفقي، ط١، القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

"تفضل بالأمر بطبعه وتوزيعه على نفقته محيي آثار السلف الصالحين المهتدي بهدي سيد المرسلين أمير العلماء وعالم الأمراء صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير الأجل سعود بن عبدالعزيز".

ويذكر محمد بن عبدالله بن بليهد في مقدمة كتابه "صحيح الأخبار" أن الأمير فيصل آل سعود هو الذي أمره أن يكتب في الموضوع؛ ومما طبع بأمر جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ووُزِعَ مجانًا :

١ - الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ط٢.

كما طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن فيصل بن عبدالعزيز ابن عبدالرحمن آل فيصل، وجُعِلَ وقفاً :حاشية الدرّة المضية في

عقد الفرقة المرضية؛ الأصل تأليف العالم محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (ت. ١١٨٨ هـ) والحاشية لعبدالرحمن ابن محمد بن قاسم. ومن سياق ما تقدم وهو غيظ من فيض ما أوقفه أبناء الأسرة السعودية الحاكمة منذ الدولة السعودية الأولى من كتب لوجه الله تعالى، يتأكد لنا حرص هذه الأسرة على العلم وتيسير سبله وبذل الغالي والنفيس من أجل إتاحته لطلبته والدارسين، فجزاهم الله خير الجزاء عما قدموا خدمة للإسلام ونشر العلم.

الفصل الثاني

عناية الملك عبدالعزيز بالطباعة والمكتبات الوقفية

لا يخفى على مهتم بتاريخ الملك عبدالعزيز أنه حصّل تعليمه الأولي في قصر والده بالرياض، حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سوراً من القرآن على الشيخ القاضي عبدالله الخرجي، وقرأه كاملاً على الشيخ محمد بن مصيب، كما درس جانباً من بعض أصول الفقه والتوحيد على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ الذي أعد له كراساً دينياً خاصاً.

وبالرغم من المهام العظام التي اضطلع بها الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في سبيل توحيد المملكة العربية السعودية وإرساء دعائم الأمن والنهضة الحضارية وانشغاله بذلك، إلا أنه كان على علاقة حميمة وثيقة بالعلم والعلماء، وكان وثيق الصلة بالقرآن الكريم، وكان له ورد خاص به جمعه لنفسه مختاراً من الأدعية؛ فإذا جاء المساء كانت له جلسة علم ومدارسة،

واعتاد بعد العشاء أن يستمع إلى قارئ معين يقرأ عليه من كتب العلم والتاريخ.

وعرف عن الملك عبدالعزيز إكباره العلماء وإجلالهم، حيث كان حريصاً على مجالستهم والأخذ بنصحهم، وكان مجلسه اليومي المخصص للاطلاع والمعرفة الذي يعقده في قصره بعد العشاء، يقوم فيه قارئ مخصوص بالقراءة، حيث كان يجلس في أقصى مقعد من يسار الملك؛ يفتح كتاباً، فيقرأ منه فصلاً بعد الفصل الذي قرأه في الدرس السابق، ثم يغلقه، ويقرأ فصلاً من كتاب آخر، ولا تزيد المدة المخصصة على نصف الساعة. أما إذا رغب الملك في إنهاء الدرس لشأن من الشؤون؛ فإنه يقول للقارئ: "بركة" ومعناها أن فيما قرئ الكفاية^(١).

ومن خلال هذه القراءة كان الملك عبدالعزيز يثير موضوعات للمناقشة يشارك فيها بعض الحضور، ومن يتابع خطب الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في المناسبات الكبرى، يدرك أثر هذه الجلسة في نفسه، ويستنتج أن جلالاته كان يتمتع بذاكرة جيدة، تختزن الكثير من المعلومات التي كانت تمرّ به إلى جانب ما حصّله من أيام الصبا، ولم يقتصر هذا التأثير على خطبه؛ بل ظهر أيضاً في أحاديثه التي اتسمت بالتوجيه والإرشاد والنصيحة.

وكما ذكر آنفاً؛ فإن الكتب التي كانت تقرأ في مجلس الملك عبدالعزيز كانت كتباً متنوعة تشمل العديد من العلوم والمعارف. لهذا؛ فإننا لا نعجب إذا اتجه جلالاته إلى طبع نفائس من كتب التراث، أو من كتب العلم المهمة، أو ما يتصل بالدعوة، التي كان يرى تشجيع أصحابها بنشرها على نفقته.

(١) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، الزركلي، ط ١٣٩١هـ، ص ٢٠٩.

وقد أوقف الملك عبدالعزيز عددًا كبيرًا من الكتب المخطوطة، وذلك قبل ظهور الطباعة وانتشارها في المملكة، وهو ما سوف نتناوله بالحديث في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

أما الذي طبع على نفقة (الملك) عبدالعزيز (أو بأمره) فهو كثير ويتسم بالأهمية في بابه، وقد تبنى الملك عبدالعزيز هذا التوجه إيمانًا منه بأهمية العمل الخيري في نشر العلم ولإدراكه بما للكتاب من أثر في إثراء الثقافة وزيادة الوعي ونقل الفكر والسمو به مع الارتقاء بالحركة العلمية المتنامية في عهده؛ وكان لنشأته الدينية وما أحاطه به والده من رعاية وتوجيه في تعليمه أثر كبير في حرصه على نشر العلم، وجاءت المحاولات الأولى للطباعة في الهند أو في بومباي على وجه التحديد، لوجود بعض أئمة الدعوة السلفية وانتشار الدعوة فيها إضافة إلى رواج حركة التجارة بين المملكة والهند آنذاك، حيث أشار الزركلي إلى أنه قد طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- كتب لم يذكر عليها اسمه، إلا أنه ورد على بعض مطبوعاته في الهند عبارة أنها (طبعت على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب)^(١). أما الدكتور أحمد الضبيب فقد أفاد في بحثه عن (حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة)^(٢). إن اضطلاع المطابع الهندية بطبع كتب تراثية أو تتصل بالدعوة السلفية تركّز غالبًا في ثلاثة أماكن هي: دهلي، ومدينة أمرتسر، وبمبي، وكلها كانت تطبع بالطريقة الحجرية. فيما أفاد الشيخ حمد الجاسر^(٣) أن

(١) الوجيز، ص ٣٢٩.

(٢) انظر: مجلة الدارة، بدءًا من العدد الأول الصادر في ربيع الأول ١٣٩٥هـ (السنة الأولى).

(٣) عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب/ عبدالعزيز الرفاعي، الرياض: مكتبة الملك فهد

الوطنية، ١٤٠٨هـ، ص ١٣-١٤.

عناية الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بنشر الكتب المتعلقة بإيضاح الدعوة السلفية والرد على معارضيها، بدأت في وقت مبكر من حكمه، حين كانت صلة نجد بالهند أقوى من صلتها بغيرها من البلاد والتي توجد بها مطابع. ولعل من أقدم ما طبع في الهند :

- تاريخ ابن غنام (روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام)، طبع في بومبي عام ١٣٣٢هـ، ولم يذكر فيه اسم الإمام صراحة، وإنما ذكرت فيه عبارة : [طبع على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب بمعرفة الساعي في طبع هذا الكتاب عبدالمحسن بن مرشد].

- الجواهر المنضدة الحسان (ديوان الشيخ سليمان بن سحمان). ويبلغ عدد الكتب التي طبعت في الهند حوالي تسعة كتب، بينها عدد للشيخ سليمان ابن سحمان^(١). والمرجح أنها كلها كانت قبل بدء الطبع في مصر عن طريق الشيخ محمد رشيد رضا في "مطبعة المنار"، وقد استمر الطبع في مصر مدة من الزمن، تم في أثنائها طبع مجموعة من أشهر المؤلفات، مثل :

- تفسير البغوي.

- كتاب المغني في الفقه.

- كتاب الشرح الكبير.

وكتب أخرى كثيرة في الحديث والتوحيد.

* غلاف كتاب (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام) ويلاحظ عبارة الطبع التي جاءت على النحو التالي: "على نفقة من

(١) أم القرى العددان ٢٢٠، ٢١٩. تحت عنوان "في سبيل الدين والعلم".

قصده الثواب من رب الأرباب رجاء من الرحمن الرحيم أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم بمعرفة الساعي في طبع الكتاب عبدالمحسن بن محمد ابن مرشد غفر الله له ولمن أوقف هذا الكتاب ووالديهما ووالدي والديهما وأرحامهما والمسلمين آمين"؛ وعبدالمحسن بن مرشد أحد التجار النجديين وقد أوكله الملك عبدالعزيز لطباعة الكتاب.

وبقي الشيخ رشيد رضا يوالي طبع المؤلفات على نفقة الملك عبدالعزيز بمطبعة المنار حتى وفاته (ت. ١٣٥٤هـ) وبعد وفاته انتقل الطبع إلى مطبعة "أنصار السنة" لدى الشيخ حامد الفقي، وهو من تلاميذ الشيخ رضا.

ولم تقتصر جهود الملك عبدالعزيز -رحمه الله- على طبع كتب العلم والأدب والتاريخ في الهند ومصر؛ بل نجد أن هذه العناية امتدت إلى الشام، فقد كان من بين مطبوعاته كتاب (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) لابن قيم الجوزية الذي طبع في مطبعة الترقى بدمشق، وجاء على الغلاف ما نصه :
(من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ملك الحجاز ونجد وملحقاته).

ورغم هذا الزخم الهائل من المطبوعات التي طبعها الملك عبدالعزيز على نفقته الخاصة؛ فإن منهجه وخطته في نشر الكتب كانت تعتمد على اهتمامه ببعض كتب الدعوة المعتمدة، والتفاسير المعتمدة، وكتب في الحديث، والفقهاء الحنبلي في موسوعاته الكبرى، وكتب تاريخية عظيمة الفائدة، وكان يتبع في ذلك أيضاً ما يشير به عليه من كان يثق بهم من العلماء. كما طبع جلالته كتباً تذكارية أو في فنون مختلفة، مثل ذكرى الكشافة العراقية.

ولم يقتصر جهوده في النشر على الكتب العربية وحدها؛ بل نجد في المقالة التي سبق الإشارة إليها في أم القرى أن هناك كتباً نشرها باللغة الجاوية والهندية لتعميم نشر الدعوة في الأقطار الإسلامية.

ويتلخص منهج جلالته في نشر الكتب التي أمر بنشرها فيما يلي :

(أ) رغبته في تعميم الدعوة السلفية.

(ب) اختيار كتب مهمة في الحديث.

(ج) نشر كتب ومؤلفات العلماء المعتمدين.

* غلاف كتاب (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) المطبوع على نفقة صاحب
الجلالة الإمام عبدالعزيز بمطبعة الترقى بدمشق، ويلاحظ فاتحة الشاء التي كتبها
أحمد عبيد صاحب المطبعة .

(د) زيادة الوعي الثقافي وإثراء الحركة العلمية في المملكة العربية السعودية من خلال
نشر كتب مفيدة في التاريخ والثقافة.

وقد حاول عدد من المهتمين إدراج قائمة بما طبع على نفقة الملك عبدالعزيز
من كتب ومؤلفات، ولكن لأن لم تصل قائمة كاملة بما طبع على نفقته (رحمه الله)
فقد تعددت نشاطاته سعياً لخدمة الدين الإسلامي ونشراً للدعوة السلفية.

ورغم معرفة الحرمين الشريفين للمكتبات الوقفية منذ وقت مبكر، حيث وقف
كثير من العلماء وغيرهم كتبهم على طلبة العلم في الحرم المكي والمسجد النبوي. فقد
كان للاهتمام الكبير الذي أولاه الملك عبدالعزيز للكتب طباعة ونشراً ووفقاً الأثر
الأكبر في إنشاء عدد كبير من المكتبات الوقفية التي أسهمت إسهاماً كبيراً في إثراء
الحركة العلمية في المملكة ومن أمثلة هذه المكتبات التي أنشئت في عهده -رحمه الله
:-

(١) مكتبة الحرم المكي

ونواة هذه المكتبة هي مجموعات الكتب والمصاحف وخزائن الكتب الموجودة في

المسجد الحرام، وضمت إليها المكتبات التالية :

- مكتبة الشرواني المنسوبة إلى صاحبها رشيد الشرواني والي الحجاز وكان ضمها في عام ١٣٤٦هـ، وقد بلغ عدد كتبها ١٣٦٢ كتابًا.
 - مكتبة الشيخ عبدالستار بن عبدالله الدهلوي (ت. ١٣٥٥هـ) المدرس بالحرم الشريف، ومجموعة هذه المكتبة تضم ١٨٥٠ كتابًا ورسالة مخطوطة ومطبوعة.
 - مكتبة السيد علي الكيلاني، وهي من المكتبات التي أوقفت وقفًا عامًا، وكانت لدى هيئة عين زبيدة، وتضم ٩٣٨ كتابًا.
 - مكتبة الشريف عبدالمطلب، أحد أمراء مكة.
 - مكتبة الشيخ صالح عطرجي، أحد مدرسي الحرم.
 - مكتبة السلطان عبدالمجيد.
 - مكتبة عبدالحق الهندي.
 - مكتبة القاضي محمد محمد الشنقيطي (ت. ١٣٥٨هـ).
- وقد وقف عليها الشيخ علي حلمي الداغستاني كتبًا كثيرة، وضمت إليها فيما بعد مكتبات كثيرة.
- (٢) مكتبة مكة المكرمة
- أنشئت عام ١٣٧٠هـ في الموقع المعروف بـ "المولد النبوي الشريف". وتكونت مجموعاتها من مكتبات خاصة لبعض المشاهير من العلماء والأدباء المكيين في القرن الرابع عشر.
- (٣) مكتبة المسجد النبوي
- بناءً على اقتراح تقدم به السيد عبيد مدني أنشئت مكتبة الحرم المدني سابقًا عام ١٣٥٢هـ، وكان مقرها الطابق العلوي من المسجد النبوي، وقد تكونت مجموعاتها من عدد من المكتبات الوقفية الخاصة بالإهداءات الفردية وخلافها. ومقرها

الحالي في علو باب عمر بن الخطاب في الجهة الشمالية من الحرم النبوي الشريف.

- (٤) مكتبة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (١٣٤٢-١٣٧٧هـ) في جازان.
- (٥) مكتبة صالح بن علي باعشن، في جدة.
- (٦) مكتبة حسونة البصطي، في جدة.
- (٧) مكتبة الشيخ حمود بن حسين الشغذلي، في حائل.
- (٨) مكتبة آل صالح، في حائل.
- (٩) مكتبة الخزانة الملكية في الرياض.
- (١٠) مكتبة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.
- (١١) مكتبة عبدالله بن العباس، في الطائف.
- (١٢) مكتبة آل الحفظي، في عسير.
- (١٣) المكتبة العلمية العامة في بريدة.
- (١٤) مكتبة الشيخ صالح السلیمان العمري، في بريدة.
- (١٥) مكتبة الجامع الكبير (المكتبة الوطنية)، في عنيزة.
- (١٦) المكتبة العلمية الصالحية بعنيزة.
- (١٧) المكتبة الخيرية العامة في المذنب.

هذه بعض أمثلة للمكتبات الوقفية التي أسهمت في إثراء الحركة العلمية في سائر مدن المملكة والتي جاء إنشاؤها وتأسيسها ورعايتها نتيجة حتمية لما أولاه الملك عبدالعزيز للكتب من اهتمام ودعم طباعة ونشرًا، وتأتي مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة المحفوظة الآن بدارة الملك عبدالعزيز خير شاهد ودليل على عناية الملك عبدالعزيز بالكتب، وتمثل بما تحتوي من كتب مهداة لجلالته تلكم المكانة التي تبوأها على المستويين العربي والإسلامي، إذ حرص المؤلفون والمحققون على اختلاف

هوياتهم على إهداء كتبهم للملك عبدالعزيز -رحمه الله- تقديرًا لاهتمامه بالكتب
وسعيه لنشر العلم والمعرفة وتقديره للعلماء .

الفصل الثالث عناية الملك عبدالعزيز بطباعة الكتب ووقفها

عقب استرداد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- مدينة الرياض عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م تحقق للجزيرة العربية والعالم الإسلامي حركة إحياء جديدة للدعوة السلفية وللحركة العلمية، حيث بدأ جلالتة في تأسيس الدولة السعودية وتوحيد أجزائها مرسخاً الارتباط الذي تميزت به بين الدين والدولة.

وقد بدأ الملك عبدالعزيز حركة إحياء التراث برعايته للمجالس العلمية تأسيساً بالسلف الصالح، حيث كان -رحمه الله- يجلس بعد أداء صلاة العشاء في مجلس خاص بقصره يحضره العلماء وأرباب المعرفة؛ يقول الزركلي واصفاً هذا المجلس: 'كانت الطريقة في هذا الدرس اليومي أن يجلس القارئ وهو موظف رسمي من رجال العلم بهذا الشأن في أقصى مقعد من يسار الملك، وأمامه مصباح كهربائي يدير زره فيضيء ويفتح كتاباً فيقرأ منه فصلاً بعد الفصل الذي قرأه في الدرس السابق، ثم يغلقه ويقرأ فصلاً آخر من كتاب آخر، والعادة أن يبدأ بتفسير القرآن ويُنتهي بالتاريخ، ولا تزيد المدة عن نصف ساعة، ويختم الدرس بإغلاق الكتاب وإطفاء المصباح وانسحاب القارئ بهدوء' (١).

وتمثل صلة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بالقرآن الكريم ذروة صلته بالعلم حيث كان جلالتة يوليه جل عنايته من خلال إقباله على تلاوته في الليل والنهار، فقد كان يخصص الجزء الأول من درسه اليومي لقراءة آي من الذكر الحكيم وتفسير معانيها.

(١) خير الدين الزركلي/ شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز. - بيروت : دار العلم للملايين، ٥١٨/٢-٥١٩.

وقد أولى الملك عبدالعزيز إحياء التراث السلفي ونشر المعرفة الدينية الصحيحة جُلَّ عنايته واهتمامه، وبذل جهودًا جبارة في تشجيع هذا الاتجاه ودعمه رغم ضعف الإمكانيات المادية في بداية عهده، وذلك من خلال قيامه بطبع عدد من المصادر الإسلامية المعروفة على نفقته الخاصة، وتوزيعها على المسلمين في الجزيرة العربية بصفة خاصة، وأبناء العالم العربي والإسلامي بصفة عامة. فقد كان -يرحمه الله- سخيًّا في الإنفاق على إحياء التراث الإسلامي، وقد عبّر عبدالفتاح قتلان، مدير المطبعة السلفية ومكتبها في مكة المكرمة، في تقديمه لفهرست المطبعة الصادر عام ١٣٤٧هـ، عن أثر دعم الملك عبدالعزيز لطباعة الكتب في نهوض الفكر والمعرفة في المنطقة.

ويقرّ الشيخ محمد رشيد رضا بهذا الدعم الذي لولاه لما طبعت هذه الكتب في ختام طبعة كتابي (المغني والشرح الكبير) عام ١٣٤٨هـ قائلاً :
"... لولاه [الملك عبد العزيز] لما أقدمنا ولا أقدم غيرنا على طبعه لأن التجار لا يقدمون على طبع اثني عشر مجلدًا في الفقه الحنبلي لأحد فقهاء مذهب الإمام أحمد مع قلة الحابله في الأمصار وقرهم..."^(١).

فيما يؤرخ الضبيب لهذه الحركة المبكرة لإحياء التراث بقوله :
"بدأ نشر كتب التفسير على نفقة المملكة العربية السعودية منذ عهد مبكر، ففي الوقت الذي أمر فيه الملك عبدالعزيز بطبع كتب الفقه في مطبعة المنار كان كتاب (تفسير ابن كثير القرشي) وهو أضخم النقاسير بالمأثور يطبع على حسابه، وكذلك تفسير البغوي (معالم التنزيل)، وقد صدر التفسيران في تسعة مجلدات ضخمة انتهت طباعتها سنة ١٣٤٧هـ، وأشرف على تصحيحها السيد محمد رشيد رضا صاحب

(١) المغني والشرح الكبير، ١٤/٧١٦.

مجلة المنار، وتبع ذلك نشر كتاب (فضائل القرآن) لابن كثير ملحقاً بتفسيره، وقد عثر عليه في آخر النسخة الخطية المكية، ولم يكن ضمن الطبعة الأولى لهذا التفسير طبعة مطبوعة بولاق. وامتازت هذه الطبعة بتعليقات وفوائد بقلم المصحح ... وقد أعيد طبع تفسير ابن كثير مستقلاً عن البغوي سنة ١٣٨٤هـ فجاء في أربعة أجزاء من القطع الكبير، ومن الواضح أنه طُبِعَ في مطبعة المنار^(١).

لذا؛ فليس من المبالغة القول إن التشجيع الكبير الذي قدمه الملك عبدالعزيز للعلم والمعرفة، أدى إلى انتشار الكثير من المؤلفات النافعة، وتأسيس الدعوة السلفية في العالم العربي والإسلامي. يدل على هذا ذلك الكم الكبير من ذخائر التراث الإسلامي ونفائسه التي طبعت على نفقة جلالته أو حظيت بدعمه. وقد حاول عدد من الباحثين حصر هذه المطبوعات ورصدها، مثل :

- خير الدين الزركلي في كتابه "شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز" عندما قدم بياناً بعنوان المؤلفات.
 - أحمد محمد الضبيبي في مقالاته التي نشرها في مجلة الدارة تحت عنوان "حركة إحياء التراث".
 - عبدالعزيز أحمد الرفاعي في دراسته "عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب" حيث قدم رصداً أوسع للمؤلفات التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز من خلال دليل المؤلفات السعودية وكتاب الزركلي وجريدة أم القرى.
- وأياً كان الأمر؛ فإنه من خلال ما تناقله المعاصرون والمتتبعون والباحثون في تاريخ الملك عبدالعزيز يتأكد لنا أن طباعة الكتب على نفقته الخاصة بدأت منذ فترة

(١) أحمد محمد الضبيبي "حركة إحياء التراث". - الدارة، ع٣، س٤ (شوال ١٣٩٨هـ/سبتمبر ١٩٧٨م) ص٩.

مبكرة. وكان اتجاه جلالته في بداية الأمر إلى الهند، بسبب نشاط الطباعة فيها وانتشار الدعوة السلفية بها، ووجود عدد من علماء الهند السلفيين الذين دعموا هذا الاتجاه الصحيح. كما أن التجارة كان لها إسهامها في هذا الجانب العلمي المهم، حيث وجه جلالته عددًا من التجار النجديين الذين كانوا دائمًا يسافرون إلى الهند لرعاية تجارتهم نحو طباعة عدد من الكتب على نفقته الخاصة، ثم توجه الملك عبدالعزيز بنشاطه في طباعة ونشر الكتب ووقفها إلى كل من مصر وسوريا لازدهار الطباعة فيهما، وكذلك في مكة وجدة بعد إنشاء عدد من المطابع فيهما مثل مطبعة أم القرى والمطبعة السلفية.

وفيما يلي نماذج لعدد من أغلفة الكتب التي طبعها الملك عبدالعزيز.

* كتاب (البيان المبدي لشناعة القول المجدى) المطبوع في مطبعة القرآن والسنة في بلدة "أمرتسر" بالهند، ويلاحظ عبارة "بأمر من استغنى بالله وتجرد لله واطمأن بذكر الله وأنفق في سبيل الله ابتغاء وجه الله واختيار ما عند الله، ذلك من فضل الله فارفع يا رب درجته واعل همته وتقبله وعمله وأعزه وأهله بعزتك يا قريب إنك سميع مجيب" وهي دعاء لآمر الطبع وهو جلالة الملك عبدالعزيز. كما يلاحظ عبارة "وقف لله تعالى" أعلى الإطار الذي يزين صفحة الغلاف.

* كتاب (تقويم الأوقات لعرض نجد) المطبوع في مطبعة أم القرى .

* كتاب (الكتاب المفيد في معرفة حق الله على العبيد المسمى مجموعة التوحيد) المطبوع في مطبعة أم القرى، ويلاحظ عبارة (وقف لوجه الله تعالى) .

* كتاب (الدرر السنوية في الأجوبة النجدية) ويلاحظ عبارة "أمر بطبعه ناصر السنة ومحیی آثار السلف الصالح حضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود" كما يلاحظ إشارة الطبعة الأولى - سنة ١٣٥٣هـ، وقد طبع الكتاب طبعة ثانية على نفقة صاحب الجلالة الملك فيصل ابن عبدالعزيز ووزع مجاناً.

* كتاب (كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل-الجزء الأول) المطبوع بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة، ويلاحظ عبارة "أمر بطبعه على نفقته وجعله وفقاً لله تعالى جلاله الملك عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها".

* الجزء الأول من كتاب (المغني لموفق الدين ابن قدامة) ويليه (الشرح الكبير لشمس الدين ابن قدامة) المطبوع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٦هـ. ويلاحظ عبارة "من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحیی السنة المحمدية الإمام عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها".

* الجزء السابع من (تفسير الحافظ ابن كثير) ويليه (معالم التنزيل للبغوي) المطبوع بمطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٧هـ.

* الجزء الثاني من كتاب (مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية) المطبوع في المطبعة السلفية بمكة المكرمة عام ١٣٤٨هـ، ويلاحظ عبارة "أمر بطبعه على نفقته وجعله وفقاً لله تعالى جلاله الملك عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها".

- * كتابا (إرشاد الطالب إلى أهم المطالب) و (منهاج أهل الحق والاتباع) لسليمان ابن سحمان، المطبوعان بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٠هـ، ويلاحظ عبارة "طبعا بنفقة جلاله السلطان عبدالعزيز الفيصل آل سعود إمام نجد وملحقاتها".
- * الطبعة الأولى من كتاب (الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق) لسليمان بن سحمان، المطبوع بمطبعة المنار عام ١٣٤٤هـ؛ ويلاحظ عبارة "طبع بأمر ونفقة صاحب الجلالة السعودية الإمام عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها".
- * كتاب (روضة الناظر وجنة المناظر) للإمام أحمد بن حنبل، المطبوع بالمطبعة السلفية بمصر عام ١٣٤٢هـ، ويلاحظ عبارة "أمر بطبعه الإمام القائم على حدود الشريعة محيي آثار السلف السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود".
- * الطبعة الأولى من كتاب (مجموعة رسائل وفتاوى من مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر) لعلماء نجد الأعلام، المطبوع بمطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٦هـ، ويلاحظ عبارة "من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية الإمام عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها".
- * كتاب (مناسك الحج على المذاهب الأربعة) المطبوع عام ١٣٦٦هـ بمطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، ويلاحظ عبارة

"طبع بأمر الملك المعظم الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود" كما يلاحظ من تعليق محمد ابن مانع مدير المعارف العام والشيخ عبدالله بن حسن رئيس القضاة الغرض من طبع الكتاب وأنه وقف لله تعالى .

* كتاب (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) المطبوع بدار العصور للطبع والنشر بمصر والذي تولى نشره مكتبة ومطبعة محمد صبيح بميدان الأزهر بمصر، ويلاحظ عبارة "طبع بإذن خاص من وكالة جلالة ملك نجد والحجاز وملحقاتها بمصر" .

ومن خلال استعراض النماذج السابقة لمجموعة من المؤلفات التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز خلال حياته تتضح لنا السمات الآتية^(١):
أولاً : تركيز هذه المؤلفات على كتب أعلام السلف مثل ابن حنبل وابن قدامة وابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

ثانياً : تنوع موضوعاتها، حيث تشمل العقيدة والتفسير والفقهاء واللغة العربية وآدابها والتاريخ الإسلامي والجغرافيا والأنساب وغيرها.

ثالثاً : نشر كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته بهدف نشر حقيقة دعوة الشيخ والرد على أصحاب الأقاويل المعادية لها.

رابعاً : تعدد المطابع التي طبعت فيها تلك المؤلفات، ومنها :

- المطبعة المصطفوية في بومباي بالهند.

- مطبعة المنار بمصر.

(١) فهد بن عبدالله السماري/ مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة. - الرياض : دار الملك

عبدالعزیز، ١٤١٧هـ، ص ١٣.

- مطبعة النهضة بمصر.
- مطبعة الاعتدال بدمشق.
- مطبعة الترقى بدمشق.
- المطبعة السلفية بالقاهرة ومكة المكرمة.
- مطبعة أم القرى بمكة المكرمة.

ومن أبرز العناوين التي طبعت على نفقة الملك عبد العزيز (رحمه الله)

العناوين التالية :

- تفسير ابن كثير والبعوي - ٨ مجلدات.
- البداية والنهاية - ١٤ مجلدًا.
- المغني والشرح الكبير - ٢٠ مجلدًا.
- كشاف القناع - ٦ مجلدات.
- الشريعة للأجري.
- منتهى الإرادات - ٦ مجلدات.
- العدة شرح العمدة.
- الإنصاف - ٢٠ مجلدًا.
- مجموع الفتاوى النجدية - ٤ مجلدات.
- زاد المعاد - ٤ مجلدات.
- الطرق الحكمية.
- صيانة اللسان.
- مختصر سيرة الرسول ﷺ.
- الجواب الكافي.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء.

- التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح.
- الروض المربع - مجلدان.
- عقيدة الطحاوية.
- طبقات الحنابلة.
- كتاب السنة.
- مدارج السالكين شرح منازل السائرين.
- رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية.
- فتح المجيد.
- العدة حاشية العمدة.
- شرح عمدة الفقه.
- حاشية المقنع.
- الإقناع.
- جامع العلوم والحكم لابن رجب.
- جامع الأصول للجزري.
- تأسيس التقديس للشيخ أبي بطين.
- مجموعة التوحيد.
- مجموعة الحديث.
- رد شيخ الإسلام ابن تيمية على ابن البكري.
- رد شيخ الإسلام ابن تيمية على الأحنائي.
- منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ذكرى الكشافة العراقية.
- دلائل الرسوخ.

- شرح دليل الطالب.
- نقض المنطق.
- الجواب الصحيح.
- شرح نونية ابن القيم.
- الروضة الندية.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة.
- مختصر الصواعق المرسله لابن القيم.
- محاكمة الأحمدين للألوسي.
- ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب.
- ديوان ابن سحمان.
- كتاب الزهد للإمام أحمد.
- تقويم الأوقات لعرض المملكة العربية السعودية.
- مختصر سنن أبي داود - ٤ مجلدات.
- جامع الأصول - ١٠ مجلدات.
- الآداب الشرعية - ٤ مجلدات.
- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب.
- مختصر الفتاوى المصرية.
- كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- الرسائل والمسائل النجدية.
- تنبيه ذوي الألباب.

الفصل الرابع الملك عبدالعزيز ووقف المخطوطات

ارتبطت الدولة السعودية بالدعوة السلفية منذ نشأتها الأولى، وأصبح نشر الدعوة وحماتها وتطهير المجتمع مما علق به من أدران الشرك أولى المهام التي تضطلع بها الدولة وتستمد من خلالها قوام سلطتها. فقد شهد عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م دخول الجزيرة العربية مرحلة جديدة من مراحل تجديد الدعوة السلفية ونشرها، عندما أزر الإمام محمد بن سعود دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، التي تقوم على تصحيح العقيدة مما شابها من بدع وخرافات، وتحكيم الشريعة الإسلامية في جوانب الحياة المختلفة، ونتيجة لهذه المؤازرة ظهرت في الجزيرة حركة علمية واسعة النطاق، أعادت للمعرفة الشرعية مكانتها لتصبح حركة إحياء عصرية إسلامية جديدة أسهمت بشكل فاعل في الحياة الدينية في الجزيرة العربية وما جاورها.

وانتشر إثر ذلك العلم، وكثر طالبوه مع قلة نسخ الكتب وندرتها، وعدم ظهور الطباعة. وكما هو معروف؛ فإن المكتبة الإسلامية قامت أساساً على الوقف، وهو على نمطين، إما أن يكون وقفاً لمجموعات كبيرة تُدَوَّن عناوينها في وثيقة شرعية واحدة، أو بوقف كتب بعينها وتدوين نصوص الوقف على صفحات عناوينها، وكما سبقت الإشارة في الفصل الأول والثاني فقد أثرى الوقف مجموعة مكنتات من مثل مكتبة الحرم المكي، التي كانت بداية تكوينها من خلال وقف مجموعة من الكتب ثم وقفت فيها مكنتات كاملة، وهذه الطريقة تعد من الطرق التي ساعدت على إثراء المكتبة العربية الإسلامية بالكتب.

وقد كان للأسرة السعودية الحاكمة إسهامات كبرى في وقف الكتب استعرضنا بعضاً منها في الفصل الأول من هذه الدراسة، ويخصص هذا الفصل لدراسة بعض

نماذج الكتب التي وقفها الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه-. فقد تبين لنا من خلال عرضنا السابق اهتمام الملك عبدالعزيز بالعلم والكتاب وحرصه الشديد على مجلس علمه اليومي، وجهوده الملموسة في طباعة ونشر الكتب على اختلاف موضوعاتها وإن كان للجانب الديني منها نصيب وافر.

وتتميز الكتب التي وقفها الملك عبدالعزيز بأنها من الفقه الحنبلي الذي تتميز به الدعوة السلفية في نجد، كما تتميز بندرة نسخها. لذا، فإن وقفها يعد خدمة جليلة لطلاب العلم في زمانه، حيث كان الحصول على نسخة منها يكلف الشيء الكثير، ويحرم طلبه العلم من الاستفادة منها. لذا؛ جاء وقفه لها ليسد تلك الثلمة.

وصيغة الوقف على الكتب التي وقفها الملك عبدالعزيز تكاد تكون ثابتة لا تتغير إلا فيما ندر، والصيغة الثابتة هي :

"يعلم من يراه بأن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل وقف هذا الكتاب لوجه الله تعالى على طلبه العلم لا يباع ولا يورث ولا يحبس فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم".

وهي صيغة لا تخرج كثيرًا عن الصيغة المتعارف عليها في وقف الكتب بصفة عامة والكتب التي وقفها رجال الأسرة السعودية بصفة خاصة ، ولا يخفى ما لهذا الوقف من قيمة علمية تؤثر في تشكيل بنية المجتمع وتحدد ملامحه واتجاهاته الفكرية والثقافية والدينية، ومن الكتب التي وقفها الملك عبدالعزيز :

- كتاب معونة أولى النهى بشرح المنتهى لمنصور البهوتي.
- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي.
- كتاب بهجة المناظر المنتخب من صيد الخاطر لابن سلوم.
- المقنع في الفقه لابن قدامة المقدسي.

- العمدة في الفقه لابن قدامة.

ومن استعراض هذه العناوين يتأكد لنا توجه الملك عبدالعزيز وحرصه على نشر مبادئ الدعوة السلفية، خدمة للعقيدة الصحيحة ولديننا الإسلامي الحنيف. هذا؛ وقد طبع عدد كبير من هذه المخطوطات، ونظرًا لاهتمام القائمين على العلم في المملكة فقد حرصوا على جمع المخطوطات التي تتعلق بتاريخ المملكة أو تلك التي تحوي معلومات عن حكام المملكة وعلمائها، وتم حفظ ما تناثر منها في مكتبة الرياض السعودية، ثم انتقلت إلى مكتبة الملك فهد الوطنية.

* صيغة الوقف التي اعتمدها الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - كما جاءت على أحد الكتب المحفوظة في مكتبة الرياض العامة السعودية .

* الجزء الثالث من كتاب (معونة أولى النهى للبهوتي) وعليه وقفية الملك عبدالعزيز .

* الصفحة الأولى من كتاب (الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي) وعليها وقفية الملك عبدالعزيز المؤرخة ١٨ شوال سنة ١٣٥٠ هـ .

* غلاف المجلد الثالث من (شرح المنتهى للبهوتي) وعليه وقفية الملك عبدالعزيز المؤرخة ٢٠ شوال سنة ١٣٥٠ هـ .

* غلاف كتاب (بهجة المناظر المنتخب من صيد الخاطر لابن سلوم) وعليه وقفية الملك عبدالعزيز المؤرخة ٢٠ شوال سنة ١٣٥٠ هـ .

- * الصفحة الأولى من كتاب (المقنع في الفقه لابن قدامة المقدسي) ويلاحظ وقفية الملك عبد العزيز في الجزء الأعلى الأيسر من الصفحة وقد أرخت بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣٥٠ هـ .
- * الصفحة الأولى من كتاب (العمدة في الفقه لابن قدامة) ويلاحظ وقفية الملك عبدالعزيز أعلى الصفحة، وقد أرخت بـ ٢٢ شوال سنة ١٣٥٠ هـ .
- * وقفية الملك عبدالعزيز على الصفحة الأولى من أحد كتب الفقه الحنبلي وهي مؤرخة بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣٥٠ هـ .
- * الصفحة الأولى من كتاب (معونة أولى النهى للبهوتي) وعليه وقفية الملك عبدالعزيز وقد أرخت بـ ٢٠ شوال سنة ١٣٥٠ هـ .

الخاتمة

من خلال هذا العرض السريع لجهود الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- التي بذلها في وقف الكتب وطباعتها ونشرها نخرج بعدد من النتائج والتوصيات التي تنبثق عن الدراسة، وهي :

النتائج :

- ١ - أسهم الوقف في إثراء الحركة العلمية في المملكة العربية السعودية بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة.
- ٢ - ساعد على نشر حركة إحياء التراث الإسلامي والعقيدة السلفية، وتصحيح ما شاب الدين الإسلامي من بدع وخرافات.
- ٣ - أسهم في إحياء الوقف الإسلامي الذي كان مهملًا قبل قيام الدولة السعودية الأولى.
- ٤ - غزارة الإنتاج العلمي الذي نشره أو ساعد على نشره وأوقفه لوجه الله تعالى الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه-.
- ٥ - تنوع الكتب والمخطوطات الموقوفة واختلاف موضوعاتها وإن كان للجانب الديني نصيب وافر.
- ٦ - إعطاء القدوة والمثل في هذا المجال مما حدا بالأمرء وبعض العلماء والأثرياء إلى الإسهام في هذا المجال، وعدّه وسيلة قربى يبتغون عليها الأجر من الله.

التوصيات

- ١ - ضرورة المحافظة على الكتب والمخطوطات الموقوفة، وترميمها وصيانتها وتهيئة الأماكن الملائمة لحفظها.
- ٢ - العمل على إحياء الوقف الإسلامي، وحثّ الأثرياء والعلماء على دعمه وتشجيعه حتى يصبح مصدرًا من مصادر الأعمال الخيرية في المجتمع.
- ٣ - وجوب تطبيق شرط الواقف في تيسير الاطلاع على الكتب والمخطوطات الموقوفة والانتفاع بها، حيث إنها لم توقف إلا لهذا الغرض؛ وفي هذا دعوة إلى استمرار الوقف.
- ٤ - إجراء دراسة عامة تخدم الوقف وتوجهاته الخيرية مع إلقاء مزيد من الضوء على الجوانب العلمية فيه، وإظهار الهدف منه والفائدة التي يجنيها الواقف.
- ٥ - العناية بطبع الكتب التي تم وقفها.

المصادر والمراجع

- أحمد إبراهيم بك/كتاب الوقف.- مصر : مكتبة عبدالله وهبة، ١٩٤٣-١٩٤٤م.
- أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي/المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب؛ خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي.- بيروت : دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١-١٩٨٣م، ١٣ جزءاً.
- أبو إسحق إبراهيم بن علي الشيرازي/المهذب في فقه الإمام الشافعي.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
- أبو بكر أحمد بن عمر الخصاف/أحكام الوقف.- القاهرة: مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية، ١٩٠٤م.
- أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي/المبسوط؛ تصحيح محمد راضي الحنفي.- مصر : مطبعة السعادة، ١٣٣١هـ.
- أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوشي/النهاية في مجرد الفقه والفتاوى؛ تحقيق أغابزرك الطهراني.- ط٢.- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٨٠م.
- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور/لسان العرب.- بيروت : دار صادر، (د.ت.).
- حمادي علي بن محمد "المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر".- مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج٢، ع١ (المحرم -جمادى الآخرة ١٤١٧هـ/ يونيو - ديسمبر ١٩٩٦م).- ص ص ٦٠-٨٩.
- راشد بن سعد القحطاني "صفحات العناوين في المخطوطات العربية".- عالم المخطوطات والنوادر، مج٢، ع٢ (رجب-ذو الحجة ١٤١٨هـ/نوفمبر-ديسمبر ٩٧، يناير- أبريل ١٩٩٨م).- ص ص ٣٦٥-٣٨٣.

- عبدالعزيز الدوري "دور الوقف في التنمية".- الحوليات المغربية للاقتصاد، ع ٢١٤ (خريف ١٩٩٧م).- ص ص ١٩-٤٨.
- عبدالعزيز الرفاعي/ عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب.- الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٠٨هـ.
- علي جواد الطاهر/ معجم المطبوعات العربية.- بغداد : المكتبة العالمية، ١٩٨٥.- الجزء الأول (المملكة العربية السعودية ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م-١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).
- فهد بن عبدالله السماري/ مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة.- الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ.
- أبو القاسم الموسوي الخوئي/ منهاج الصالحين : فتاوى أبو القاسم الموسوي الخوئي.- بيروت : دار الزهراء، ١٩٨١م.
- المحقق الحلبي/ شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام؛ تحقيق عبدالحسين محمد علي.- النجف الأشرف : مطبعة الآداب، ١٩٦٩م.
- أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي/ المغني والشرح الكبير.- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٧٢م.
- أبو محمد بن علي بن أحمد بن حزم/ المحلى.- القاهرة : دار الفكر (د.ت).
- محمد أبو زهرة/ محاضرات في الوقف.- ط ٢.- القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٧١م.
- محمد بن سليمان بن عبيد "المكتبات الوقفية العامة في المملكة العربية السعودية: الماضي والحاضر".- مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ضمن بحوث ندوة المكتبة العامة في المملكة العربية السعودية : واقعها ومستقبلها (٢٧-٢٨ رجب ١٤١٦هـ/١٩-٢٠ ديسمبر ١٩٩٥م).

- منصور بن يوسف البهوتي/ كشاف القناع عن متن الإقناع.- مكة المكرمة (د.ن.)، ١٩٧٤م.
- يحيى محمود بن جنيد "ساعاتي". "دلالة النصوص الهامشية في المخطوطات المتداولة في منطقة نجد في القرن الثالث عشر الهجري".- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ٥ (المحرم ١٤١٢هـ) ص ص ٥٣٩-٥٦٨.
- يحيى محمود بن جنيد "ساعاتي"/ الوقف وبنية المكتبة العربية استبطن للموروث الثقافي.- ط ١.- الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- يحيى محمود بن جنيد "ساعاتي". "وقفية الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود".- عالم المخطوطات والنوادر، مج ١، ع ٢٤ (رجب-ذو الحجة ١٤١٧هـ/يناير-يونيو ١٩٩٧م).